بن البرازيـــــــل

لو ذَهَبْتَ إلى السُّوقِ لِشِراءِ شيءٍ من البنِّ لَوَجَدْتَ منه أنواعاً كثيرةً ، أشْهَرُها اليَمَنِيُّ والبَرازِيلِيُّ .

والبَرازيلُ بلادٌ واسعةٌ تقعُ فى الجُزْءِ الشَّمالِيِّ من قارَّةِ أمريكا الجَنُوبيَّةِ . وهى تُنْتِجُ نحوَ ثلاثةِ أخماسِ ما يَسْتَهْلِكُهُ العالَمُ من البُنِّ . فالبُنُّ محصُولُها الرَّئيسِيُّ وعِمادُ ثَرْوَتِها ، إذْ أنَّها تَبيعُ منه كُلَّ سَنَةٍ نحوَ عشرين مِلْيُوناً من القناطيرِ . وتَكْسِبُ مِنْ ذلك أموالاً طائِلَةً . فمَثَلُهُ فيها كمَثَلِ القُطْنِ فى مِصْرَ .

وشَجَرَةُ البُنِّ ضَخْمَةٌ جِداً بالرَّغمِ مِنْ قِصَرِها ، إذْ قد يَبْلُغُ قُطْرُها نحوَ أربعةِ أمتارٍ ، فى حِينِ أنَّ ارْتِفاعَها يَتَراوَحُ بَيْنَ مِتْرَيْنِ ونِصْفٍ ، وخَمْسَةِ أمتارٍ ، إذا كانَتْ مزروعةً فى تُرْبَةٍ ملائِمَةٍ . وتَبْدَأُ الشجرةُ بالإثْمارِ بَعْدَ أربعٍ أو خَمْسِ سنواتٍ من زراعَتِها ، ولكِنَّها لا تَبْلُغُ أشُدَّها ، وتُعْطِى أعْلَى محصولٍ لها ، إلاَّ فى السنةِ العاشِرَةِ إلى الثَّانِيَةِ عشْرَةَ . وهى عِنْدَئِذٍ تُعْطِى نحوَ رِطْلَيْنِ ونِصْفِ رِطْلٍ من البُنِّ فى السَّنَةِ على الأكْثَرِ . ومن هـذا يُمْكِنُكَ أن تتصوَّرَ العددَ الهائلَ منَ الأشجارِ الذى يَلْزَمُ لإنتاجِ ملايينِ القناطيرِ التى تُصَدِّرُها البرازيلُ .

وسِنُّ الشَّيْخُوخَةِ لشَجَرَةِ البُنِّ هو سِنُّ العشرينَ . فعِنْدَ ما تَصِلُ الشَّجرةُ إليه ، يَأْخُذُ مَجْمُوعُ أوراقِها فى التَّناقُصِ ، ويَقِلُّ محصُولُها السَّنَوِىُّ تَدْرِيجاً .

ويَخْتَلِفُ المَحْصُولُ من سَنَةٍ لأُخْرَى تَبَعاً لحالةِ الجَوِّ . فإنَّ شَجَرَ البُنِّ يَحْتاجُ إلَى مَطَرٍ غَزِيرٍ فى فَصْلِ الصَّيْفِ ، وإلَى جَوٍّ صَحْوٍ دَفِىءٍ فى الشِّتاءِ . وهذا مُتَوافِرٌ عادَةً فى البَرازيلِ ، إذْ يَكْثُرُ المطر فيها من شَهْرِ نوفمبرَ إلى شَهْرِ مارسَ وهى أشْهُرُ الصَّيْفِ الحارِّةِ ، لأنَّ البَرازيلَ كما تَعْلَمُ واقِعَةٌ فى نِصْفِ الكُرَةِ الجَنُوبِىِّ ، أمَّا بَقِيَّةُ السَّنَةِ فشتاءٌ جافٌّ ، كشِتاءِ مِصْرَ ، دَفِىءٌ فى النَّهارِ ، مُتَوَسِّطُ البُرُودَةِ باللَّيْلِ . ولكِنْ يَحْدُثُ أحياناً أنْ تَهُبَّ رِياحٌ بارِدَةٌ من الجَنُوبِ ، فتَضُرَّ الشَّجَرَ ، وتُقَلِّلَ محصولَهُ .

ويُوجَدُ سَبَبٌ آخَرُ لاخْتِلافِ مِقْدارِ المحصولِ السَّنَوِىِّ ، رُبَّما كانَ هو الأهَمَّ . ذلك أنَّهُ إذا جاءَ الجَوُّ ملائِماً جِداً فى سَنَةٍ من السَّنَتَيْنِ ، وزادَ ما تَحْمِلُهُ الأشجارُ من ثِمارِ البُنِّ زِيادَةً كَبيرَةً ، فإنَّ ذلك يُنْهِكُها ، فيَقِلُّ محصولُها فى السَّنَةِ التَّالِيَةِ ، حَتَّى لو اسْتَمَرَّ الجَوُّ مُلائِماً . ولذلك نَجِدُ للمحصولِ دَوْرَةً تَتَكَرَّرُ باسْتِمْرارٍ : سَنَةٌ ذاتُ محصولٍ وَفِيرٍ ، تَتْلُوها سَنَتانِ أو ثَلاثٌ ذاتُ محصولٍ صَغِيرٍ .

ولَمَّا كانَ مِقْدارُ البُنِّ الذى تَسْتَهْلِكُهُ البِلادُ

المُخْتَلِفَةُ ثابتاً عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ لا يَتَغَيَّرُ من سنةٍ إلى أُخْرَى، اعْتَادَ البرازيليُّونَ أَنْ يَخْزُنُوا ما يَزِيدُ عَلَى الحاجَةِ فى سَنَةِ المحصولِ الوفيرِ، كَيْ يُكَمِّلُوا به النَّقْصَ فى السِّنِينَ التَّالِيَةِ، التى يَكُونُ المحصولُ فيها صغيراً. ومُنْذُ بِضْعِ سِنِينَ حَدَثَ حادِثٌ غَرِيبٌ: إذْ جاءَ محصُولٌ وَفِيرٌ فى سَنَةِ ١٩٢٧م، ثمَّ محصولٌ وَفِيرٌ آخَرُ، بعدَ ذلك بِسَنَةٍ واحدةٍ، أَىْ فى سَنَةِ ١٩٢٩م. وكَانَ من نَتِيجَةِ ذلك أَنْ تَكَدَّسَتْ فى البَرَازِيلِ عِشْرُونَ مِلْيُونًا من القناطِيرِ زَائِدَةً عن حاجَةِ العالَمِ. فَهَبَطَتْ أسعارُ البُنِّ هُبُوطاً كَبِيراً، لِكَثْرَةِ الموجودِ منهُ فى الأسواقِ. وَعَادَ ذلك بِخَسَارَةٍ عظيمةٍ على زَارِعِيهِ؛ لأَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ من نُزُولِ الأسعارِ، لَمْ يَبِيعُوا إلاَّ المِقْدَارَ المُعْتَادَ. ولَمْ يَجِدِ البَرَازِيلِيُّونَ طَرِيقَةً لِيُعِيدُوا الأَسعارَ إلَى حالَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ إلاَّ بِإِتْلافِ تلك المَلايِينِ من قَنَاطِيرِ البُنِّ. فَأَحْرَقُوهَا سَنَةَ ١٩٣١ م.

وَزِرَاعَةُ البُنِّ لا تَتَطَلَّبُ عَنَاءً كَبِيراً. فبعدَ وَضْعِ البَذْرِ فى الأَرْضِ، يَنْحَصِرُ هَمُّ الزَّارِعِ فى تَنْقِيَةِ الارضِ من الأَعْشَابِ التى قد تَعُوقُ الأشجارَ عن النُّمُوِّ. وعِنْدَمَا يَأْتِى وَقْتُ جَمْعِ الثَّمَرِ من الشَّجَرِ، تُنَظَّفُ الأَرْضُ تَحْتَهَا، وتُسَوَّى بِعِنَايَةٍ. ثُمَّ يُمِرُّ الرِّجالُ أَيْدِيَهُمْ على فُرُوعِ الشَّجَرَةِ، فَتَتَسَاقَطُ منها الثِّمَارُ عَلَى الأَرْضِ. ثُمَّ تُلَمُّ هذه الثِّمَارُ، وَتُغَرْبَلُ لِتَنْقِيَتِهَا من التُّرَابِ وأوراقِ الأشجارِ وقِطَعِ الأَغْصَانِ ونَحْوِهَا. ويَسْتَطِيعُ الرَّجُلُ الواحِدُ وأُسْرَتُهُ أَنْ يَقُومُوا بِزِرَاعَةِ نَحْوِ ٤٠٠٠ شَجَرَةٍ.

وثَمَرَةُ شَجَرِ البُنِّ تُشْبِهُ النَّبِقَةَ الصغيرَةَ. ولَكِنَّ نَوَاتَهَا مُنْقَسِمَةٌ إلى قِسْمَيْنِ، وكُلٌّ مِنْهما حَبَّةٌ من حبوبِ البُنِّ التى تَعْرِفُهَا. ويُوجَدُ فى وَسَطِ كُلِّ مَزْرَعَةٍ مَصْنَعٌ لِتَحْضِيرِ البُنِّ من الثِّمَارِ بِمُجَرَّدِ سقوطِهَا من الشَّجَرِ. فَتُكَوَّمُ الثِّمَارُ أَكْواماً عظيمةً، وتُتْرَكُ مُدَّةً فى الشَّمْسِ لِتَجِفَّ، مع تَحْرِيكِهَا بالْيَدِ أو بوساطَةِ بِغَالٍ تَجُرُّ وَرَاءَهَا أَلْواحاً من الخَشَبِ. وعِنْدَ مَا تَجِفُّ الثَّمَرَةُ تَنْشَقُّ وتَخْرُجُ منهما الحَبَّتَانِ. وتَكُونُ عَلَى كُلِّ حَبَّةٍ منهما قِشْرَةٌ جامدةٌ رَقِيقَةٌ. ولا بُدَّ من فَرْكِ الحبوبِ لإزالَةِ قُشُورِها. وأَخِيراً تُفْرَزُ الحبوبُ، وتُوضَعُ فى أَكْيَاسٍ، ثُمَّ تُرْسَلُ إلى أسواقِ البُنِّ الكبيرةِ لِتَصْدِيرِها إلى سائِرِ أَنْحاءِ العالَمِ.